فكانكم ما تشكرون رب هذه النعم الواهب لها قل هو الذي ذراكم اي خلقكم وبثكم في الارض واليه تحشرون اي يوم القيامة والمعنى ان القادر على الابتدا قادر على الاعادة ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين هذا سوال يحتمل وجهين احدهما انه سوال عن نزول العذاب بهم والثاني انه سوال عن يوم القيمة فاجاب الله عن ذلك بقوله قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين مع باضافة العلم الى الله تعالى وتبليغ ما اوحى اليه فلما راوه يعني العذاب في الاخرة على قول اكثر المفسرين وقيل يعني العذاب ببدر زلفة اي قريبا سيئت وجوه الذين كفروا اي اسودت وعلاها الكآبة والمعنى قبحت وجوههم بالسواد وقيل لهم اي وقالت لهم الخزنة هذا الذي كنتم به تدعون من الدعا اي تتمنون وتطلبون ان يعجله لكم وقيل من الدعوى اي تدعون انه باطل قل يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنون هلاكك قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي اي من المومنين او رحمنا اي ابقانا واخر اجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي انه واقع بهم لا محالة وقيل في معنى الاية قل ارايتم ان اهلكني الله اي فعذبني ومن معي او رحمنا اي فغفر لنا فنحن مع ايماننا خائفون وان يهلكنا بذنوبنا لان حكمه نافذ فينا فمن يجيركم او يمنعكم من عذاب اليم وانتم كافرون وهذا قول ابن عباس قل اي قل لهم في انكارك عليهم وتوبيخك لهم هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا اي نحن امنا به وعبدناه وانتم كفرتم به فستعلمون اي عند معاينته من هو في ضلال مبين اي نحن ام انتم وهذا تهديد لهم ثم ذكرهم ببعض نعمه عليهم على طريق الاحتجاج فقال تعالى قل ارايتم ان اصبح ماؤكم قيل بريد زمزم وقيل غيرها من المياه غورا اي غائرا ذاهبا في الارض لا تناله الايدي ولا الدلاء فمن ياتيكم بماء معين اي ظاهر تراه العيون وتناله الايدي والدلاء وقال ابن عباس معين اي جار والمقصود من الاية ان يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريهم قبح ما هم عليه من الكفر والمعنى اخبروني ان صار ماؤكم ذاهبا في الارض فمن ياتيكم بماء معين فلا بد ان يقولوا هو الله تعالى فيقال لهم حينئذ فلم تجعلون له من لا يقدر على شيء اصلا شريكا له في العبودية فهذا محال

تفسير سورة ن والقلم

مكية وهي اثنتان وخمسون اية وثلثمائة كلمة والف ومائتان وستة وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ن قال ابن عباس هو الحوت الذي على ظهره الارض وعنه ان اول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيمة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على الارض ثم قرا ن والقلم وما يسطرون قيل اسم النون بهموت وقيل ليوثا وعن علي بلهوت قال اصحاب السير والاخبار لما خلق الله الارض وفتقها سبع ارضين بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له اربعون الف قرن واربعون الف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فاخذ الله ياقوتة خضراء من اعلى درج الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة سنة فوضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقر عليها قدما الملك وقرون ذلك الثور خارجة من اقطار الارض ومنخاره في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوايم الثور قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع ارضين فاستقرت قوايم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه فتكن في صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وساير جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة فثقل الدنيا بما عليها حرفان قال لها الجبار سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس كوني فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارض فوسوس اليه فقال له اتدري ما على ظهرك يا لوثيا من الامم والدواب والشجر والدواب لو نفضتهم القيتهم عن ظهرك فهم لوثيا ان يفعل ذلك فبعث الله دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله منها فاذن لها فخرجت قال كعب الاحبار فوالذي نفسي بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشي من ذلك عادت كما كانت وعن ابن عباس ان نون هو الدواة ومنه قول الشاعر ● اذا ما الشوق برح بي اليهم ● القت النون بالدمع السجام ● اراد بالنون الدواة وعن ابن عباس ايضا ان نون حرف من حروف الرحمن اذا جمعت الرحمن وقيل هو مفتاح اسمه نصير وناصر وقيل هو اسم للسورة

والقلم

والقلم هو القلم الذي كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والارض ويقال اول ما خلق الله القلم نظر اليه فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وانما يجري الناس على امر قد فرغ منه وما يسطرون اي وما يكتب الحفظة من اعمال بني ادم وقيل ان حملنا القلم على ذلك القلم المعين فيحتمل ان يكون المراد وما يسطرون به في اللوح المحفوظ ويكون الجمع وما يسطرون للتعظيم لا للجمع ما انت يا محمد بنعمة ربك هذا جواب القسم اقسم بنون والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وهو رد لقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون والمعنى انك لا تكون مجنونا وقد انعم الله عليك بالنبوة والحكمة فنفى عنه الجنون وقيل ما انت بمجنون والنعمة لله وهو كما يقال ما انت بمجنون والحمد لله وقيل ان نعمة الله كانت ظاهرة عليه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والاخلاق الحميدة والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة ووجودها ينافي حصول الجنون فنبه الله تعالى بهذه الاية على كونهم كاذبين في قولهم انك لمجنون وان لك لاجرا غير ممنون اي غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول لبيد ● عبس كواسب ما يمن طعامها ● اي ما ينقطع يصف بذلك كلابا ضارية وقيل في معنى الاية انه غير مكدر عليك بسبب المنة والقول هو الاول ومعناه ان لك على احتمالك الطعن وصبرك على هذا القول القبيح وافترائهم عليك اجرا عظيما دائما لا ينقطع وقيل ان لك على اظهار النبوة وتبليغ الرسالة ودعا الخلق الى الله تعالى والصبر على ذلك وبيان الشرايع لهم اجرا عظيما فلا يمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا الامر العظيم الذي قد حملته ثم وصفه بما يخالف حال المجنون فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وهذا كالتفسير لقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة عليه ومن كان كذلك لم يجز اضافة الجنون اليه ولما كانت اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة وافعاله الجميلة وافرة وصفها الله تعالى بانها عظيمة وحقيقة الخلق قوى نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة والاداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه ويدخل في حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والتشديد في المعاملات ويستعمل في حسن الخلق التحبب الى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل في جميع الامور والتسمح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر واحتمال الاذى من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه وادامة البشر فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ولقد كان جميع ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا وصفه الله تعالى بقوله وانك لعلى خلق عظيم وقال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين احب الي ولا ارضى عندي منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو اداب القران سئلت عايشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران وقال قتادة هو ما كان ياتمر به من امر الله وينتهي عنه من نهي الله تعالى والمعنى وانك على الخلق الذي امرك الله به في القران وقيل سمي خلقه عظيما لانه امتثل تاديب الله اياه بقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين

فصل في فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك

روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال عن النواس ابن سمعان قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس عن عايشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المومن ليدرك بحسن خلقه درجة القائم الصائم اخرجه ابو داود وعنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله اخرجه الترمذي وقال حديث حسن عن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من شي اثقل في ميزان المومن يوم القيامة من خلق حسن وان الله تعالى يبغض الفاحش البذي اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من احبكم الي واقربكم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)